الهلال

الجزء الحادي عشر من السنة الحادية عشرة

١ مارث (اذار) سنة ١٩٠٢ و ٢ ذو الحجة سنة ١٣٢٠

ملوك الشرق وامراؤه

٧ – زنجبار وسلطانها

﴿ زنجبار ﴾ هي لفظة مركبة من « زنج » و « بار » ويظن بعض مؤرخي الافرنج انها عربية ومعناها « بر الزنج » أي بلاد الزنج . ولكننا نرى هذا التركيب غير مألوف في العربية . والاغلب عندنا انها مركبة من « زنج » و « بار » في الهندية ومعناها « الباب » فيكون المراد باللفظ « باب الزنج » او مدخل بلاد الزنج كما يقولون « هندوبار » لسواحل بلاد الهند . ويؤيد ذلك ان البلدين متقابلان يفصل بينهما البحر والعلاقات التجارية قديمة بينهما . وزنجبار الآن اسم جزيرة من جزائر شرقي أفريقيا تجاه أملاك المانيا مساحتها ٦٤٠ ميلاً مربعاً وبها تسمى سلطنة زنجبار لان مقر السلطان فيها

كانت زنجبار في أوائل ادوارها تحت سلطة بعض قبائل الزنج سكان أواسط أفريقيا ولم يذكر عنها المؤرخون القدماء ما يشفي غليلاً لانهم قلما كانوا يعرفون عنها شيئاً قبل نزول البرتوغاليين فيها في القرن الخامس عشر للميلاد . على ان العرب اشاروا اليها في بعض رحلاتهم او تقاويمهم واكثر ما ذكروه يدلُّ على جهلهم تلك

البقاع وانهم انما يرجمون بالغيب كقولهم « ووراء البحر الحبشي بحر الزنج وفيه العنبر » وأول من ذكر تلك الجهة ذكرًا صريحًا ابن بطوطة في رحلته الشهيرة في النصف الاول من القرن الثامن للهجرة — فبعد ان زار اليمن ولقي سلطانها المجاهد نور الدين رحل الى عدن فوصفها ثم وصف زيلع وبعد خمس عشرة ليلة وصل الى مقدشو ويسميها الافرنج (Magadoxo) وهي بلد على سواحل افريقيا الشرقية مما يلي بلاد الصومال . فوصفها ووصف سلطانها وقال « انهم يسمونه الشيخ واسمه ابو بكر بن الشيخ عمر وهو في الاصل من البرابرة » ووصف مقابلة السلطان له وذكر عوائدهم في ذلك وفي غيره قال « وركبت البحر الى بلاد السواحل قاصدًا مدينة كلوا فوصلنا الى جزيرة منبسى وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا برّ لها واشجارها الموز والليمون والاترج ولهم فاكهة يسمونها الجمون وهي شبه الزيتون ولها نوى كنواه الا انها شديدة الحلاوة ولا زرع عند اهل هذه الجزيرة وانما يجلب اليهم من السواحل واكثر طعامهم الموز والسمك وهم شافعية المذاهب اهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان وعلى كل باب من ابواب المساجد البئر والثنتان وعمق ابارهم ذراع او ذراعان فيستقون منها الماء بقدح خشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الذراع والارض حول البئر والمسجد مسطبة فمن اراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ويكون على بابه قطعة حصير غليظ يمسح بها رجليه . ومن اراد الوضوء أمسك القدح بين فخذيه وصب على يديه وتوضأ وجميع الناس يمشون حفاة الاقدام »

ويظهر من وصفها انها غير منبسة المعروفة بل هي تنطبق بالاكثر على جزيرة بمبا التابعة لزنجبار كما سيأتي — قال ابن بطوطة « وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر الى مدينة كلوا وهي مدينة عظمى ساحلية اكثر اهلها الزنوج المستحكمو السواد ولهم شرطات في وجوههم » . ثم ذكر سلطان كلوا وسماه ابا المظفر حسن وقال « وكان كثير الغزو الى ارض الزنوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوي القربى في خزانة على حدة فاذا جاء

الشرفاء دفعه اليهم وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة » . ثم ذكر شيئاً من مكارمه الى ان قال « وركبنا البحر من كاوا الى مدينة ظفار » — قلنا — ومدينة كاوا ور * زنجبار الى الجنوب فكأن الرحالة المشار اليه تجاوز هذه الجزيرة وعاد من سياحته هناك الى بلاد العرب ولم يمر بها ولا ذكرها ولكن لا يخلو ان تكون يومئذ تابعة لسلطنة مقدشو في شماليها او سلطنة كاوا في جنوبيها وكلتاهما عريقة في الاسلامية — فقد ذكروا انه كان في كاوا وحدها ثلاثمئة جامع وان مذهب اهلها الشافعية

وبعد مرور رحالتنا هذا بقرن وبعض القرن جاءها البرتوغاليون واليهم الرحلة في تلك الازمان فامتلكوا كاوا ثم منبسى ثم مقدشو وكل ما اليها وجزيرة زنجبار . وما زالت في ايديهم حتى استخرجها منهم ائمة مسقط (او مسكت) في القرن السابع عشر ولا تزال في ايديهم الى اليوم . وقد دخلت في حماية انكلترا في اواسط القرن الماضي كما يجيء

﴿ ائمة مسقط ﴾ مسقط قصبة عمان في شرقي جزيرة العرب وجنوبيها . وقد انتاب سائر أقاليم بلاد العرب حروب كثيرة وتوالت عليها دول شتى بعد ظهور الاسلام وعمان قلما مسها شيء من ذلك . وحكامها قبيلة قحطانية تعرف بقبيلة اليعاربة الى اوائل القرن السادس عشر فاحتل مسقط البرتوغاليون . وفي اواسط القرن السابع عشر استرجعها امراء اليعاربة — ولا تزال آثار كنيسة البرتوغاليين وسرايهم ومنارتهم وبعض الابنية الاخرى ظاهرة في تلك المدينة . ظل الامراء اليعاربة مستقلين بحكومة عمان ينازعهم بها بعض القبائل الاخرى الى أوائل القرن الثامن عشر اذ ظهر نادر شاه الفاتح الفارسي الشهير الملقب بنابوليون الشرق فاكتسحها رجاله سنة ١٧٣٧ وامعنوا في أهلها قتلاً ونهباً . وظل العمانيون يئنون تحت نير الفرس أربع سنوات حتى أنقذهم رجل يمنيُّ الاصل يقال له احمد بن سعود من غير العائلة الحاكمة فحارب الفرس وجاهد جهاد الابطال في انقاذ عمان من سلطانهم حتى أتيح له ذلك . فجعله العمانيون اماماً عليهم سنة ١٧٤١ وهو جد أئمة مسقط ومنهم

سلاطين زنجبار . وقد اتسعت مملكة عمان في أيامه وأيام ابنه السيد سعود في أوائل القرن الماضي وانتشرت اعلامها على كثير من بلاد العرب ومعظم خليج فارس وعلى بعض سواحل افريقيا الشرقية وفي جملتها جزيرة سقطرة وجزيرة زنجبار وكان اليعاربة قد امتلكوا بعضها في أواخر القرن السابع عشر

وفي سنة ١٨٠٤ قتل السلطان سعود فخلفه ابنه السيد سعيد فقاسى أمورًا عظامًا من هجمات الوهابية من أهل نجد حتى خاف ضياع سلطانه بالكلية ولكنه تمكن من استبقاء عمان وحفظها من غاراتهم وثبتت سلطته في زنجبار وسواحل أفريقيا الشرقية. وقد حكم ٥٢ سنة فتوفي سنة ١٨٥٦ وعمان أزهى ممالك العرب . ولما توفي انقسم مملكته اثنان من ابنائه فتولى أحدهما السيد مجيد مملكة زنجبار وتولى أخوه السيد ثوين مملكة عمان . وأصبحت زنجبار مملكة مستقلة من ذلك الحين . وكأن استقلالها احتاج الى مداخلة حكمدار الهند يومئذ اللورد كننج فحكم باستقلالها على هذه الصورة سنة ١٨٦١ وكان ذلك بدء سيطرة الانكليز عليها

وتوفي السيد مجيد سنة ١٨٧٠ فخلفه أخوه الاصغر السيد برغش وعرف بسلطان زنجبار . وكانت سلطته تمتد على جزيرتي زنجبار وبمبا وما يجاورهما من الجزر الصغيرة وعلى سواحل افريقيا من ورشيخ عند الدرجة الثالثة شمالاً الى خليج تنجي في الدرجة العاشرة جنوبًا . على ان احكامه قلما كانت تسرى على ماوراء السواحل الا في بعض الطرق التجارية الى قلب القارة . على ان مطامع جيرانه الالمان والانكليز وغيرهم آلت الى اقتطاع تلك المملكة بأساليب مختلفة رويدًا رويدًا حتى توفي السيد برغش سنة ١٨٨٨ وسلطانه يكاد يكون محصورًا في جزيرتي زنجبار وبمبا . فخلفه ابنه السيد خليفة ولم تمض سنتان حتى انحصرت مملكة زنجبار بتينك الجزيرتين

وفي سنة ١٨٩١ تعين السير ماتيوس الانكليزي وزيرًا لسلطان زنجبار فنظم حكومتها تنظيماً حسناً . وخلف السيد خليفة السيد علي بن سعيد عمه . وتوفي السيد علي سنة ١٨٩٣ فعهدت السلطنة الى ابن أخيه السيد حامد بن ثوين . وتوفي هذا سنة ١٨٩٦ فخلفه المرحوم السيد حمود بن محمد بن سعيد السلطان السابق

السيد حمود بن محمد بن سعيد — سلطان زنجبار السابق

وكان السيد حمود رحمه الله محباً للعدل راغباً في العلم ينشط اهله ادبياً وماديا كما أشرنا الى ذلك غير مرة في الهلال حتى فاجأه المنون في العام الماضي وابنه السيد علي بن حمود في مقتبل الشباب فخلفه وهو في السنة التاسعة عشرة من عمره . فوقع اختياره موقعاً حسناً لدى العالم الشرقي لما علموه من رغبته في اقتفاء آثار والده في تنشيط العلم وموازرة أهله مع دماثة اخلاقه وصدق نيته في خدمة بلاده

(أحوال زنجبار) مملكة زنجبار الآن مؤلفة من جزيرة زنجبار ويسميها الوطنيون أونكويا ومساحتها ٦٤٠ ميلاً وسكانها ١٥٠,٠٠٠ وجزيرة بمبا ومساحتها ٣٨٠ ميلاً وسكانها ٥٠,٠٠٠ فمساحة المملكة الزنجبارية نيف والف ميل مربع وعدد سكانها ٢٠٠,٠٠٠ نفس معظمهم مسلمون سنيون على مذهب الامام الشافعي • واما السلطان وعائلته فمن فرقة الاباضية • وفي زنجبار جماعة من الغرباء يتعاطون التجارة ونحوها فيهم ٥٠ انكليزياً و ٥٠ المانياً وبعض الامركان والفرنساويين والايطاليان وغيرهم — ولهم كنائسهم • وهناك نحو ٧,٠٠٠ من الهنود تكاد تكون تجارة زنجبار محصورة في أيديهم

يقيم السلطان في مدينة زنجبار في الجزيرة المسماة بذلك الاسم • وعدد سكان هذه المدينة ٣٠,٠٠٠ نفس

تجري الاحكام القضائية في مملكة زنجبار باسم السلطان ويتولى النظر فيها القضاة واما الافرنج فيتقاضون الى قناصلهم الا القضايا التي يكون فيها المدعي انكليزياً والمدعى عليه وطنياً أو من في حكمه ممن ليس لهم قناصل تدافع عنهم فانها تنظر بمحكمة السلطان

وكان راتب سلطان زنجبار يؤخذ بالاكثر من عوائد المحصولات وضرائبها واكثرها على الكبش القرنفل • ثم ترتب ذلك على ان يكون للسلطان بيت مال خاص لايختلط ببيت مال الحكومة وراتبه ١٢٠,٠٠٠ روبية في السنة (نحو ٢٤٠,٠٠٠ فرنك) يؤخذ ذلك من مجموع الضرائب وينفق الباقي في مصالح الشرطة والمينا والبلدية • على انهم لاينفقون مالاً الا بمصادقة وكيل انكلترا السياسي او قنصلها هناك • جند زنجبار ٩٠٠ رجل ومنهم رجال الشرطة • والضابط الاكبر انكليزي

تراجم مشاهير الشرق

في القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

سيصدر الجزء الثاني من هذا الكتاب بعد بضعة أيام وفيه تراجم رجال العلم الذين نبغوا في الشرق في أثناء القرن التاسع عشر ومنهم رجال النهضة الاخيرة ورجال الصحافة والانشاء وسائر حملة الاقلام والشعراء وغيرهم